مقالة

"الذكاء الاصطناعي" صنم العلمانية الجديد وخلفيته الفلسفية!

من البديهيات العقدية أن العقائد إما أن تكون مادة هداية ورشد أو مادة ضلال وزيغ، فإما أن تكون فلسفة للحياة أو فلسفة للفناء. وفلسفة الغرب العلمانية المادية اجتمعت فيها أسباب الضلال ومادة الانتحار والهلاك.

فلقد نخر سوس العلمانية كل مفاهيم الحياة فهشم هيكلها وأفسد موضوعها وغايتها، ثم تعدت الفلسفة العلمانية المسألة الثقافية والشأن الإنساني إلى العلم وقضايا المادة، فصنع سوسها بالعلم وقضاياه ما صنع بالثقافة والشأن الإنساني، فحوَّل العلوم المادية إلى مادة للتخريب وإعطاب لأنظمة وقوانين المادة.

ثم إن هذه الفلسفة العلمانية في ماديتها الصماء العمياء وتفسيرها للوجود سببا وغاية من أنه مادة ليس إلا، وعليه ينطبق على الإنسان ما ينطبق على الشجر والحجر بل وما على الآلة الصماء! وبناء على هذه النظرة العلمانية المادية تتساوى معايير الثقافة والشأن الإنساني مع معايير العلم وقضايا المادة ما اصطلح عليه علمانيا وحدة العلوم.

فالإنسان علمانيا قد تم طحنه وسحقه وتشييئه ماديا، واليوم يتم تسويق تجاوزه من الآلة الصماء، فهذا الإنسان المادي علمانيا ليست له أية ميزة أو سمة تفَوُّق أو تفرُّد بل حتى ذلك العقل والذكاء من الناحية العلمانية ليس خاصا به فقط بل يتعداه إلى الآلة الصماء، فها هي الآلة الصماء قد جعلت لها الفلسفة العلمانية المادية عقلا وذكاء واصطلحت عليه "ذكاء اصطناعيا".

إن العقيدة العلمانية في فصلها للدين عن الحياة تستبطن استئصال الدين ومفاهيمه عن الكون والإنسان والحياة كغاية علمانية نهائية، فمفاهيم الخلق وتميز الإنسان وتفرده بالعقل وخصائص الفطرة الثابتة والأنظمة والقوانين الدقيقة للمادة هي محل استئصال وتحطيم وموضوع تفكيك وتهشيم لأنها تحيل حتما على إبداع التصميم والخلق وكمال النظام وتمام القوانين، ما يحسم الجدال العقدي وينهي المسألة العقدية إلى حلها الحتمي الله الخالق سبحانه أي جوهر الدين. وذلك ما تجحده العلمانية المادية أشد الجحود، وتتعنت في كدها النكد ومحاولاتها البائسة اليائسة مناقضة إتقان الخلق وإبداع التصميم، فالهوس العلماني المادي في محاولة تجاوز مسألة الخلق والتصميم يكشف حقيقة القهر والعجز العلماني أمام إبداع وتصميم الخالق سبحانه.

فكل المحاولات البائسة المأساوية ونتائجها الكارثية في محاولة تجاوز التصميم والخلق غايتها العلمانية النهائية هي الإلحاد في الخالق وتأليه الصنم العلماني المادي، وكنماذج التعديلات الجينية على النبات والحيوان ومؤخرا على الإنسان وعمليات الاستنساخ وما اصطلح عليه مؤخرا "الحياة الاصطناعية" وكذلك "الذكاء الاصطناعي"، هذه النماذج ظاهرها ابتكارات علمية وباطنها توليد فلسفي، ففي جوهرها الفلسفي هي محاولات علمانية لمناقضة وتجاوز إبداع الخلق والتصميم إلحادا في الخالق وسعيا لطمس دينه.

إلى المتحيرين في أمر ما اصطلح عليه غربيا "الذكاء الاصطناعي"، أولا مسألة في تحرير المصطلح وتحديد المفهوم والدلالة والمرجعية الفلسفية الكامنة وراءه. علميا وفنيا يُعَدُّ ما يسمى الذكاء الاصطناعي فرعا من علوم الكمبيوتر يهدف إلى إنشاء أنظمة عبر خوارزميات تطبيقية يمكنها أداء مهام تتطلب عادة ذكاء بشريا من قبيل الاستدلال والتعلم واتخاذ القرار، ويعتمد على تطوير الخوارزميات والبرامج الحاسوبية التي يمكنها تحليل البيانات والتعلم منها واتخاذ قرارات بناء على هذا التحليل. فهو توظيف لتكنولوجيا الحوسبة الكمية ذات السعة الكبرى في معالجة أحجام كبرى من البيانات وتوليد النتائج في زمن قياسي. وقد بدأ رسميا في خمسينات القرن الماضي وطفا المصطلح على السطح في كلية دارتموت في هانوفر بالولايات المتحدة.

أما عن فلسفة "الذكاء الاصطناعي" ومرجعيته الثقافية، فمصطلح الذكاء الاصطناعي مسكون ومشحون إلى أقصى الحدود بفلسفة العقل في الفكر العلماني المادي الغربي، بل موضوع الذكاء الاصطناعي هو من أبرز المجالات المعرفية اليوم التي تبرهن على عمق تجذر الفلسفة والنظرة العلمانية المادية في مواضيع العلوم المادية للغرب وتشكيلها للسبب والغاية العلمية. فمن وجهة منظري الفكرة وناحتي مصطلح "الذكاء الاصطناعي" ومن المؤسسين له جون مكارثي ومارفن مينسكي من جامعة دارتموت، فهدفهم من الذكاء الاصطناعي هو محاكاة قدرات الذكاء البشري بواسطة الآلات، وقد استندوا في تأسيسهم وتعريفهم إلى افتراض فلسفي علماني غارق في المادية، من أن جميع الوظائف المعرفية للعقل البشري ولا سيما التعلم والاستدلال والحساب والإدراك والحفظ في الذاكرة وحتى الابتكار والإنشاء والإبداع، قابلة للتفكيك والتوصيف المادي بشكل دقيق لدرجة إمكانية برمجة جهاز كمبيوتر لاستنساخها، ومنذ ذلك الوقت أي لأكثر من ستين سنة مضت وهذه الفرضية الفلسفية المادية الجدلية هي مرتكز بحوث ما اصطلح عليه غربيا "الذكاء الاصطناعي".

فتعريف جون مكارثي مؤسس وواضع مصطلح "الذكاء الاصطناعي" هو تعريف فلسفي بالدرجة الأولى إذ يعرف ذكاءه الاصطناعي بأنه علم وهندسة لصنع الآلات الذكية، والنموذج الصارخ في فلسفة "الذكاء الاصطناعي" هي مارجريت آن بودن البريطانية التي تعتبر عالمة حاسوب وفيلسوفة الذكاء الاصطناعي المعاصرة، والفكرة الرئيسية في فلسفتها للذكاء الاصطناعي أنه يحاكي الذكاء البشري في جميع النواحي، وبالتالي يمكن حوسبة العقل البشري حوسبة مادية صرفة سواء على مستوى الوعي أو الإبداع أو العاطفة. وتتركز اهتماماتها على مجال الذكاء الاصطناعي وعلم النفس وكذلك فلسفة العقل وعلوم الحاسوب الآلي، ومن أهم مؤلفاتها "الذكاء الاصطناعي والإنسان الطبيعي" و"فلسفة الحياة الاصطناعية: الإدراك والمعرفة".

فالقضية المركزية والجوهرية في مسألة "الذكاء الاصطناعي" هي فلسفية ثقافية أكثر منها علمية فنية، وجوهر الموضوع هو محاكاة العقل البشري ثم تغذية ذلك الزيف المعرفي الذي يشير إلى كيان مادي اصطناعي موهوب بالذكاء، ومن ثم قادر على منافسة العقل البشري بل تحديه وتجاوزه (ومباريات لعبة الشطرنج مع الروبوت الآلي جزء من تغذية الزيف المعرفي وسوء الفهم).

علما أن الفلسفة العلمانية الغربية في ماديتها الصلبة الحادة تنظر للثقافة والعلم بمنظور مادي صرف تولد عنها مفهوم وحدة العلوم، أي أن الإنتاج الثقافي والعلمي يصنف كله في خانة العلوم المادية (العلوم الإنسانية، علم النفس، علم الاجتماع...)، وهذه النظرة العلمانية المادية طبعت الثقافة والشأن الإنساني والعلم وقضايا المادة. ثم كانت الكارثة الإنسانية في أن هذه النظرة العلمانية المادية القاصرة والباطلة كانت نتائجها مدمرة إلى أبعد الحدود في تجاوز العقل العلماني لحدود العقل ومناقضته لكل الأنساق والأنظمة الإلهية الحاكمة والناظمة للكون والإنسان والحياة، وكل هذا التجاوز والمناقضة هو من هوس العقل العلماني لإثبات فوقيته بل تأليهه.

وهذا المفهوم العلماني يحيل إلى الزعم العلماني المتهافت من أن الوجود كله مادة سببا وغاية ومصيرا، وأن البشر والشجر والحجر والآلة مادة، وأبعد من ذلك أنها مادة ملساء لا فوارق ولا ميزات، وأن العقل والذكاء مسألة مادية صرفة فلا فلسفة ولا عقيدة ولا قيم ولا أخلاق بل العقل آلية مادية مجردة، وبحسب مفاهيم التكنولوجيا المعاصرة هو حوسبة مادية معقدة وكفى! والمفارقة بل المناقضة العجيبة في هكذا استنتاج أنه استنتاج فلسفي غيبي لا سند مادي يدعمه بل هو تقرير علماني وكفى!

ثم هذا الزعم المتهافت بذكاء اصطناعي أي ذكاء آلي مادي، ففضلا عن جذره الفلسفي العلماني الباطل الذي انبثق عنه، فهناك كذلك التعريف المادي الفاسد للعقل في الفكر المادي سواء في شقه العلماني أو شقه الشيوعي، فالعلمانية المادية

اختصرت العقل في دراسة المخ وشبكة أعصابه وتفاعلاته الكيماوية وإشاراته الضوئية، وانتهت مؤخرا إلى اختصاره في آلة كمبيوتر شديدة التعقيد، والشيوعيون ما خرجوا عن دائرة المادة سوى ببعض التحوير والتدوير بقولهم إن العقل هو انعكاس للمادة على الدماغ. وهذه النظرة المادية الفاسدة المتهافتة للعقل هي التي بني عليها مفهوم "الذكاء الاصطناعي"، علما أن من بديهيات المعرفة أن ما بني على باطل فهو باطل.

ولبيان فساد وبطلان مفهوم "الذكاء الاصطناعي" لا بد من الوقوف على جوهر المعضلة المعرفية التي بني عليها هذا الوهم والزيف المعرفي وهي مسألة العقل والذكاء، وهل للآلة الصماء أن تكون عاقلة ذكية؟!

فمعرفيا الذكاء كناية على قوة العقل أي قوة التفكير، فلا بد من الوقوف على مفهوم العقل أولا وتحديد واقعه ومعناه ودلالته ثم يأتي بعدها بحث قوته أي ذكائه. فمن أخطر المواضيع الإشكالية التي استعصت على الحل وفشل العقل البشري في حل لغزها هي مسألة العقل نفسه وماهيته وواقعه كإدراك وتفكير، واستمر الإشكال يرافق البشرية على اختلاف ثقافاتها حتى منتصف القرن الماضي، فتم التصدي للمشكلة وحلها وتجلية حقيقة وواقع العقل وبلورة مفهومه من طرف مفكر من طراز فريد نادر، عَلم من أعلام هذه الأمة وهو العالم الفقيه والمفكر الألمعي تقي الدين النبهاني (١٩١٤-١٩٧٧)، وقد تفرد بتجلية واقع العقل ومفهومه وتحديد ماهيته وتعريفه بشكل يقيني جازم، وكتابه "التفكير" عمدة ومرجع في ذلك.

جاء في كتاب التفكير "وعليه فالعقل أو الفكر أو الإدراك هو نقل الحس بالواقع إلى الدماغ ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع"، وعليه وحتى يوجد العقل أو الفكر أو الإدراك لا بد من وجود واقع ولا بد من وجود دماغ صالح ولا بد من وجود إحساس ولا بد من وجود معلومات سابقة، وهذه الأربعة مجتمعة لا بد من تحققها جميعها وتحقق اجتماعها حتى تتم العملية العقلية ويوجد العقل. وهذا العقل يحتاج إلى دماغ فيه خاصية الربط علما أن خاصية الربط فيه هي فطرية وليست مكتسبة واستحال أن تكتسب وإلا لصيرنا الأحمق عاقلا! وما قال بهذا إلا أحمق، وكذلك العقل يحتاج إلى حس وإحساس وهذا الإحساس كذلك فطري غير مكتسب، وعلى ذلك فإن العقل غير موجود إلا عند الإنسان وإن العملية العقلية لا يمكن أن يقوم بها إلا الإنسان.

أما ذلك الزعم العلماني الفاسد الباطل المتهافت في فرز وتركيب ودمج البيانات عبر خوارزميات تطبيقية لتوليد النتائج الاحتمالية المحسوبة فليس من جنس الربط الدماغي فضلا أن يكون تفكيرا، فالإنسان صاحب الخوارزمية التطبيقية هو حقيقة من قام دماغه بالربط فبدون الخوارزمية التطبيقية يصبح الكمبيوتر مجرد خردة معدن. كما أن برمجة ملاحظات وتصورات وصور الأحاسيس المتنوعة في ظروف متعددة والآراء حولها لتوليد نتائج آلية مادية لا يعتبر إحساسا بل هو صورة وتصور لإحساس تم وانتهى. كما أن المعلومات السابقة ليست آراء سابقة لأصحابها مدرجة ومصنفة ومبوبة في بيانات تمت برمجتها. وفوق هذا عنصر الحياة الفاعل فالعقل متعلق بالإنسان الحي وسر حياته، فالحديث عن العقل في الميت لغو وعبث فكيف بالجماد؟! وعليه فمن الزيف المعرفي والسفسطة الفكرية الحديث عن العقل في الآلة الصماء فضلا عن الذكاء.

أما الذكاء فهو أصلا مرتبط بعقل البشر، ومعرفيا يقول الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في كتابه "سرعة البديهة" "والذكاء هو سرعة الإحساس وسرعة الربط"، فسرعة الإحساس تعني سرعة نقل الواقع إلى الدماغ، وسرعة الربط تعني سرعة ربط المعلومات بالواقع، والنتيجة سرعة إصدار الحكم على الواقع وذلك هو الذكاء، وعليه فالذكاء مرتبط بسرعة الإحساس والربط الأمر المنتفي والمستحيل وجوده في غير الإنسان.

وبعد تحديد وتجلية المفاهيم حول العقل والذكاء يصبح اصطلاح "الذكاء الاصطناعي" لغوا وعبثا معرفيا، فعملية الحوسبة هي في المحصلة النهائية مسألة خوارزميات تطبيقية من تصميم عقل بشري، هذه الحوسبة تمت فلسفتها علمانيا ثم كنتها العلمانية لغوغائها وعبيدها "ذكاء اصطناعيا" لإيهامهم بإنشائها لعقل مادي آلي لإسناد إلحادها في الخالق واستمرارها في مناقضة خلقه وتصميمه.

فالتفكير خاصية فطرية أودعها الخالق سبحانه في الإنسان تحديدا وليس حوسبة ميكانيكية أو إلكترونية، فالإنسان ينمي فكره ويطور ذكاءه ويصقل مهاراته، لكنه أبدا لا ينشئ أصل التفكير، واستحالة أن ينشئه فهو كالحياة هبة وعطاء من رب كريم، يوظف الإنسان ما أودع الله فيه من عقل، ومن شؤم العلمانية الكافرة أنها توظف العقل للكفر برب العقل!

فهذا الهوس العلماني المادي في محاولة محاكاة تصميم الخالق مع مناقضة أنظمته يكشف حقيقة القهر والعجز العلماني أمام تصميم الخالق وإبداعه. ثم هذا الانحراف والتشوه العلماني ما انفك يولد الكارثة تلو الكارثة، ففي تجاوزه ومناقضته لأنظمة الخالق التي فطر عليها خلقه حرف العقل العلماني وشوه ومسخ الأنظمة الفطرية فحلت المأساة، فهذا تحريفه الجيني للنبات والحيوان والذي سماه لمضبوعيه "تعديلا جينيا" ليوهمهم بالإنشاء والإبداع بل بتصحيح ومعالجة الموجود، وهو في زيف تعديله قطعا ويقينا يقوم بالمسخ والتشويه، وقد أورث بزيف تعديله وضلال عقله العلماني البشرية ألوانا وأصنافا من الأسقام ما عرفتها ولا عهدتها في أسلافها.

ثم أتى إلى الإنسان أكرم خلق الله فابتدع له لعنة الجندر ليركس فطرته ويمسخ حقيقته ويشوه نوعه، وهو في كل هذه اللعنة والمقت مصرّ على تأليه عقله العلماني المادي ومناقضته لمنظومة الخلق الرباني وزوجية نوعه. وها هو "ذكاؤه الاصطناعي" مصطلحا وفلسفة هو من تلك اللعنة والتألي العلماني في إيهام غوغائه وعبيده أنه ابتكر وأنشأ لهم عقله المادي وآلته المادية العاقلة الذكية "الذكاء الاصطناعي" المتجاوز والمتعدي لما أودع الله من عقل في إنسانه المخلوق.

ومن ضحالة العقل العلماني المادي أن أقصى خطواته هي تحريف وتشويه ومسخ الخلق ثم زعمه الكاذب أنه ينشئ ويبتكر ويبدع، ثم هو في تقزمه غير قادر على تجاوز العقل الأصيل فيه، فخوارزميات ذكائه الاصطناعي مقيدة بحدود المعرفة البشرية كما أنها إنتاج بشري، بل في شؤمه العلماني هو من أفسد عبر علمانيته الخبيثة عقله الموهوب من الله فانحرف وضل وغوى.

هذا عن حقيقة فلسفة الذكاء الاصطناعي، أما عن الغاية العلمانية الخبيثة من ورائه، فهو أسلوب مبتكر في تنميط البشر آليا وفق الرؤية العلمانية، في إيهامهم أن المعارف المحصلة من الذكاء الاصطناعي هي معارف علمية محايدة ومجردة من العقائد والفلسفة والقيم والأخلاق وأنها غير منحازة، وعليه فإنها عامة لجميع البشر بغض النظر عن عقائدهم وفلسفاتهم ووجهات نظرهم، فهو أسلوب مبتكر في إعادة تدوير العلمانية وفلسفتها ومعارفها وأنماط حياتها ولون حضارتها وقوانينها وأنظمتها وتنميط البشر بناء عليها، فالأنماط والأنساق الثقافية العلمانية المبرمجة عبر الذكاء الاصطناعي تسعى العلمانية لجعلها قواعد ومقاييس لجميع البشر، وتصبح معها نتائجه هي النتائج المعتمدة وهي مقياس الصواب والخطأ وهنا الكارثة والمأساة.

ثم هناك الغاية النفعية الرأسمالية التي لا تنفك عن الرؤية العلمانية وهي الغاية الاقتصادية من وراء الذكاء الاصطناعي، فمن العوامل التي دفعت إلى تطوير رقمنة الإنتاج وتقليص العمر البشري لجعل كلفة الإنتاج بأسعار متدنية لضمان أرباح عالية، وكذلك توليد حاجات وسلع جديدة وبالتالي أسواق جديدة لمزيد من الأرباح، وكذلك تنشيط وتطوير سوق التجارة الرقمية، ومعالجة الكميات الهائلة من البيانات لرسم خرائط الزبائن وفبركة الحاجات وإثارة الغرائز وتوسعة شبكة المستهلكين مع تقليص

الإدارة والخدمات البشرية، فالهدف النهائي هو مزيد من الأرباح، فغاية الرأسمالية هي الربح أولا وأخيرا.

ثم مع هذا العقل العلماني المادي و"ذكائه الاصطناعي" ستصبح الرذيلة والشر صناعة وتوليدا آليا، فسيصبح الكذب والغش والانتحال والتزييف والتزوير والخداع والكيد والمكر والوقيعة والتعريض والتشهير والزور والتلفيق والسرقة واللصوصية والابتزاز والوهم والخديعة والدجل وكل أصناف الفواحش والخبائث والقبائح، بل كل الشرور والمنكرات صناعة مادية وتوليدا آليا وذكاء اصطناعيا وابتكارا ماديا علمانيا!

حقيق ما كانت حضارة الغرب إلا لعنة شيطان، نقول لمن استنزف الغرب عقله فأوهمه أن الآلة الصماء عاقلة بل ذكية بل وأعقل وأذكى منه، فكرر عليه وهم وزيف الذكاء الاصطناعي سبعين مرة حتى صدق ونسف عقله.

والأنكى أن الإنسان في جدله وسقيم عقله ينبهر بالخردة ويعمى عن بديع الخلق، فتراه متيبسا مشدودا منبهرا بلوحة لبستان يتخلله نبع ماء مطلية ألوانه على قطعة قماش، وما يلبث إلا يسيرا حتى يفتتن برسامها، وهو هو ذلك الذي يمر بحقيق البستان وعينه التي انبجست من صخر فانفجرت ماء عذبا سائغا للشاربين، فيرى حقيق الجمال وكأنه ما أبصر ولا رأى وسمع نضخ ونشيج الماء، فلا يحرك فيه بديع الصنع وآيات الجمال شعرة في مفرقه فضلا أن يفكر ويتأمل في بديع الصنعة وكمال التصميم ليهتدي للصانع المبدع خالقه وبارئه ومصوره!

لكل هؤلاء إن كان للواحد أن ينبهر فمحل الانبهار والتأمل والتدبر هو العقل نفسه وليست الآلة الصماء وذكاؤها المزعوم، فحقيق هو محل انبهار وموضع إجلال وتعظيم لمصممه ومبدعه خالق الإنسان وعقله سبحانه وتعالى.

﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مناجي محمد